

متانة الهياكل التنظيمية - الهيكل التنظيمي للكون أنموذجاً -

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

ملخص:

تتمثل قوة أي كيان؛ بقوة هيكله التنظيمي، فمن أراد بنياناً صحيحاً يدوم ويدوم؛ فعليه تأسيس بنيانه بهيكل تنظيمي مُحكم البنين للحصول على أداءٍ فعّالٍ وعملٍ جادٍ وكفاءةٍ فائقةٍ.

والمتمل في كتاب الله تعالى يجدُ هياكلَ تنظيميةً مُنضبطةً ومُحكمةً ينبغي للعاقل الحصيف أن يتعلم منها؛ وإن محاولة تتبّع الهياكل التنظيمية لهذا الكون وتأويلها أمرٌ مفيدٌ؛ خاصةً أنه نظامٌ مُحكمٌ كما هي حال كل شيءٍ في كتاب الله تعالى.

DURABILITY OF ORGANIZING STRUCTURES

The Organizing Structure of the Universe as a Model

Dr. Samer Mazhar Kantakji

Abstract:

The power of any entity is represented by the power of its organizing structures. Thus, the one who aims at sound and everlasting structure, he shall build his structure consistently to have active performance, hard work and supernormal competence.

When someone contemplates in the holy Quran, he can find out controlled organized structures that make the wise person learn from them.

The attempt to follow-up and interpret the organizing structures of this universe is something useful particularly it is a controlled system as everything mentioned in the Holy book of Allah.

إِنَّ قُوَّةَ أَيِّ كَيَانٍ؛ - سواءً أكانَ مؤسَّسةً أم شركة أعمالٍ، أو حتَّى لو كانت أسرةً - تتمثَّلُ بقوةِ هيكلِهِ التنظيميِّ، فمَن أرادَ بنياناً صحيحاً يدومُ ويدومُ؛ فعليه تأسيسُ بنيانِهِ بهيكلٍ تنظيميٍّ مُحكِّمِ البنيانِ للحصولِ على أداءٍ فعَّالٍ وعملٍ جادٍ وكفاءةٍ فائقةٍ .

والمُتأملُ في كتابِ الله تعالى يجدُ هياكلَ تنظيميةً مُنضبطةً ومُحكمةً ينبغي للعاقلِ الحصيفِ أن يتعلَّم منها؛ فهو عزَّ وجلَّ يُعلِّمنا، يقولُ اللهُ تعالى في سورةِ البقرة: وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ . . ﴿٢٨٢﴾؛ وإنَّ محاولةَ تتبُّعِ الهياكلِ التنظيميةِ لهذا الكونِ وتأويلها أمرٌ مفيدٌ؛ خاصَّةً أنَّه نظامٌ مُحكِّمٌ - كما هي حالُ كلِّ شيءٍ في كتابِ الله تعالى -، يقولُ اللهُ العزيزُ الجبارُ: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . . ﴿٧﴾ آل عمران .

وقبل محاولة تتبُّعِ الهياكلِ التنظيميةِ لهذا الكونِ لا بد من قواعد عامة لذلك، وهي أن الطبقاتُ سنةٌ من سننِ الله تعالى في هذه الحياة، وأن الرِّعايةُ أساسُ حَمَلِ المسؤوليةِ، وأخلاقُ العاملينِ ورؤسائِهِم، أساسُ تحقيقِ الولاءِ .

الطبقاتُ سنةٌ من سننِ الله تعالى في هذه الحياة:

هناك فارقٌ بين المساواةِ والعدلِ؛ فالمساواةُ تتحقَّقُ بأن تُعطيَ وارثينِ اثنينِ لِكُلِّ مِنْهُمَا مِثْلَ الْآخَرِ، أمَّا العَدْلُ فأمرُهُ غيرُ ذلك؛ فحِصَّةُ الوارثِ تتناسبُ بحسبِ كونه (ذكراً أو أنثى)، وبحسبِ موقعِهِ في سُلْمِ الأُسرةِ؛ فالأنثى قد تكونُ (بنتاً، أو أختاً، أو أمّاً، أو جدَّةً، أو خالَّةً، أو عمَّةً، وقد تكونُ وحيدةً أو معها غيرها). وكذلك الذكْرُ قد يكونُ (ابناً، أو أخاً، أو عمّاً، أو خالاً، أو جدّاً، وقد يكونُ وحيداً أو معه غيره)، وبما أنَّ احتياجاتِ كُلِّ مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُ تتبدَّلُ فإنَّ نظامَ توزيعِ الإرثِ الشرعيِّ يراعي كلَّ ذلك بطريقتِهِ اجتماعيةً عادلةً فريدةً من نوعِها؛ لذلك من تعلَّم الموارِيثَ سيجدُ حالاتَ تزيدُ فيها حِصَّةُ الذكْرِ عن الأنثى، وفي حالاتٍ ثانية يتساويان، وفي حالاتٍ أُخرى تزيدُ حِصَّةُ الأنثى عن الذكْرِ، وذلك هو العَدْلُ .

ويحتاجُ تصريفُ شؤونِ حياةِ الناسِ للتفاوتِ كونُهُم مُتدرِّجينَ في الشكلِ والإدراكِ، وكذلك في القُدرةِ والتصرفِ، وفي الغنى والفقرِ، وهذا أفضلُ ممَّا لو كان شأنُهُم واحداً؛ ليستخدِمَ بعضهم بعضاً؛ فيستفيد الجميعُ، ويعيشونَ على هذه البسيطةِ متعاونينِ متكافلينِ. يقولُ المولى: أَهْمُ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^ج وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ الزُّخْرُفُ، ويقولُ أيضاً في سورةِ الإسراءِ: انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ^ج وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿٢١﴾ .

وهذه السُّنةُ جاريةٌ على الأنبياءِ أيضاً وهم أفضلُ البشرِ عليهم الصلاة والسلامُ، فقد ميَّز اللهُ بعضهم عن بعضٍ فقال عزَّ وجلَّ: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ^ج مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ^ج . . . ﴿٢٥٣﴾ البقرة .

الرعاية أساس حمل المسؤولية:

بناءً على سنة الله في قسمة المعيشة تناسبياً، وتمايز الناس بعضهم فوق بعض؛ فقد أُلزم الأعلى رعاية من هو أدنى منه، ومن هو تحت كفله؛ فمثلاً نبي الله زكريا قد كفل مريم عليهما السلام، يقول تعالى: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا... ﴿٣٧﴾ آل عمران.

ويُخاطبُ نبيُّ الهدى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مَسْئُولٍ لَدَيْهِ مِنْهُمْ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ - مهما كانت نوعية مسؤوليته -؛ فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيته، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته. قال فسمعتُ هؤلاء من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحسبُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: والرجلُ في مال أبيه راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته¹.

لكن قد تتغير الحال، وتنقلب الأدوار؛ فيكبر الأبناء ويشيخ والداهم كلاهما أو أحدهما فيكونان في كفالته، يقول تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ الإسراء.

وتسري هذه المنهجية على الغني تجاه الفقير، وعلى الدائن تجاه مدينه الغارم؛ ليغدو المجتمع متكاتفاً متكافلاً متآلفاً متراحماً كأنه جسد واحد، كما شبهه رسول الهدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر².

وعلى ذلك يجب أن تكون صفة أي مجتمع في أي هيكل تنظيمي.

أخلاق العاملين ورؤسائهم وتحقيق الولاء:

يُخاطبُ ربُّ العالمين عبده ورسوله مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهو خيرُ خلقه - وقد وصفه في غير موضع بأنه صاحبُ الخلق العظيم: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ القلم -، فقال له: فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَو كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران.

بذلك يمكننا فهم العلاقة المميزة بين الرئيس ومرؤوسيه؛ بل نستطيع أن نُعلل لماذا كان النتاج شخصاً مُميزاً شهدت له الدنيا حتى قيام الساعة؟

إن قصة أنس بن مالك رضي الله عنه الذي خدَم رسول الهدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع سنين حاضرة في ذهني لا تغيب عن خلدي؛ ففيها ما يعجز عنه جلُّ الناس - إن لم نقل كلُّهم - إذا لم يتحللوا بخلق النبي

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهذا الرئيسُ لم يُنكَرْ عَلَى عَامِلِهِ فِعْلاً فَعَلَهُ، وَلَا عَابَ عَلَيْهِ شَيْئاً، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ خُلُقِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَكَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى نِبَاهَةِ الْفَتَى الْعَامِلِ. وَوَاللَّهِ مَا قَرَأْتُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَّا وَاقْشَعَرَ جِلْدِي، وَقَدْ عَشْتُ جُلَّ عُمُرِي مُدِيرًا وَرئيسًا لِأَعْمَالِي، فَأَيُّ تَرْبِيَةٍ هَذِهِ الَّتِي تَرَبَّى عَلَيْهَا أَنَسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟؛ فالمرؤوسُ كان فاهماً لِعَمَلِهِ، مُسْتَوْعِباً لِمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وَلَا حَاجَةَ لِرئيسِهِ أَنْ يُوجِّهَهُ، وَأَنْ يُؤَنِّبَهُ، أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ، رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ سِنِينَ فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئاً قَطُّ³.

وهذا ما علينا أن نَعْلَمَهُ وَأَنْ نُطَبِّقَهُ فِي مَوْسَسَاتِنَا وَبَيْنَ جَمِيعِ مَسْتَوِيَاتِ الْهِيَائِلِ التَّنْظِيمِيَّةِ تَأْسِياً بِخَيْرِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ الْقَائِدُ، وَالْمُدِيرُ، وَهُوَ الْقُدْوَةُ الْمَثَلِي، وَالْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ. وَلَا يَصِحُّ مَا عَلَيْهِ حَالُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يُدِيرُونَ أُمُورَ النَّاسِ وَيُعَامِلُونَهُمْ بِالشَّتْمِ، وَالسُّبَابِ، وَاللَّفْظِ الْغَلِيظِ، وَقَدْ شَهِدْتُ شَخْصِيًّا وَعَمَلْتُ فِي أَكْثَرِ مَن مَوْسَسَةٍ - مُعْتَبَرَةٍ - يُعَامِلُ فِيهَا مُدِيرُهَا الْعَامُونَ مَوْظَفِيهِمْ بِقَسْوَةٍ وَجَلَافَةٍ، كَمَا عَرَفْتُ وَشَهِدْتُ أَعْضَاءَ وَرُؤَسَاءَ مَجَالِسِ إِدَارَةٍ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَعَ مُدِيرِهِمُ الْعَامِينَ، وَمَنْ هُمْ دُونِهِمْ - وَلَا حَاجَةَ لِذِكْرِ الْأَسْمَاءِ -؛

لِذَلِكَ لَنْ نَحْصَلَ عَلَى وِلَايَةِ الْعَامِلِ لِمَوْسَسَتِهِ بِشَكْلِ حَقِيقِيٍّ؛ لِأَنَّ الْعِلَاقَةَ الْمَادِّيَّةَ هِيَ الرَابِطُ الْوَحِيدُ بَيْنَهُمَا، وَهَذِهِ عِلَاقَةٌ لَا تَقْوَى عَلَى مَقَاوِمَةِ أَيِّ إِغْرَاءٍ أَكْبَرَ مِنْهَا، فَلَا شَيْءَ غَيْرَهَا يَرِيبُ الْعَامِلَ بِمَوْسَسَتِهِ. وَلِنَنْظُرَ إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ حَيْثُ أَنَّ الْمَالَ عَاجِزٌ عَنِ تَحْقِيقِ الْأُلْفَةِ، يَقُولُ الْمَوْلَى: لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾.

الهيكل التنظيمي:

يَتَكَوَّنُ الْهَيْكَلُ التَّنْظِيمِيُّ فِي أَيِّ مَوْسَسَةٍ أَوْ كِيَانٍ مِنْ مَجْمُوعَةٍ أَنْشِطَةٍ وَمَهَامٍّ تَتَوَزَّعُ بَيْنَ الْعَامِلِينَ فِيهَا؛ بِهَدَفِ التَّنْسِيقِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى تَنْفِيزِ تِلْكَ الْأَنْشِطَةِ وَالْمَهَامِّ وَصُولاً لِتَحْقِيقِ غَايَةِ مَنْشُودَةٍ؛ لِذَلِكَ يُحَدِّدُ الْهَيْكَلُ التَّنْظِيمِيُّ أَسْلُوبَ الْعَمَلِ وَنَتَائِجَهُ، وَيُحَدِّدُ الْمَسْئُولِيَّاتِ، وَيُسَاعِدُ فِي وَصْفِ الْوُضَائِفِ وَالْعَمَلِيَّاتِ الْمَحَدَّدَةِ؛ لِذَلِكَ هُوَ أَدَاةُ التَّنْظِيمِ؛ لِأَنَّهُ يُحَدِّدُ:

- * آلياتِ التَّحَكُّمِ بِإِجْرَاءَاتِ التَّشْغِيلِ الْقِيَّاسِيَّةِ وَالْمَعْتَادَةِ.
- * الْأَفْرَادَ الْمُتَحَمِّلِينَ لِمَسْئُولِيَّةِ صُنْعِ الْقَرَارِ فِي كُلِّ إِجْرَاءٍ وَبَيَانِ وُجْهَاتِ نَظَرِهِمْ.
- * الْعِلَاقَاتِ الْعَامُودِيَّةَ (مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ - الرَّئِيسِ وَمَرْؤُوسِيهِ) وَالْعِلَاقَاتِ الْأَفْقِيَّةَ (أَيَّ بَيْنَ الْمَرْؤُوسِينَ مِنَ السُّوِيَّةِ نَفْسِهَا).

* الْمَسْئُولِيَّةَ عَلَى أَسَاسِ تَسْلِسِلِهَا الْقِيَّادِيَّ، أَوْ عَلَى أَسَاسِ الْوُضَائِفِ، أَوْ كِلَيْهِمَا مَعاً. وَيُوضِّحُ ذَلِكَ مَا يُسَمَّى بِالْمَخْطُطِ التَّنْظِيمِيِّ **Organizational Chart**؛ فَتَتَوَسَّعُ السُّلْطَةُ وَالْمَسْئُولِيَّةُ كُلَّمَا تَدْرَجَ الْمَسْتَوَى.

* حقوق وواجبات وامتيازات كل منصب في التنظيم.

* التنسيق بين الأنشطة، وتحليل الوظائف، ثم تحديد صفات المرشحين المناسبين.

فإذا اختلف الهيكل التنظيمي التنفيذي عن الهيكل التنظيمي المرسوم والمخطط فهذا معناه: أن المؤسسة فيها سلطة غير رسمية تتحكم بزمام الأمور وتسيطر على العمل؛ مما يسمح بوجود التجاوزات، وهذا يعيق تطبيق محاسبة المسؤولية، وتحديد المسؤول الحقيقي عن أي تجاوزات - حال وجودها -؛ فيتعرقل أي تعاون، ويتوقف تنفيذ المهام في وقتها المحدد ضمن ما رسمته الموازنات التخطيطية.

وبالتفكير في هذا الكون ونظامه فإن الله تعالى الخالق البارئ المالك - جل في علاه، وتعالى عن أي تشبيه - هو خالق كل شيء وموجده في هذا الكون، وهو واضع أنظمتها بدقائقها خفيها وجليلها، قد جعل دليل العمل فيه لعباده؛ فلكل أمة كتاب ك (التوراة والإنجيل وما سبقهما من كتب سماوية، ثم ختم بالقرآن الكريم ناسخاً لما سبقه) كدليل عمل لهذا الكون وشارحاً له. فأرسل الملك جبريل عليه السلام رسوله إلى من هم دونه من الخلق - ملائكة كانوا أم رسلاً -، وخص الله تعالى بعض الملائكة بخواص ومهام دون غيرهم، وكذلك اختار رسلاً من البشر، وخص بعضهم دون بعضهم الآخر بمزايا ومهام. ومن ذلك مثلاً:

جبريل عليه السلام:

المهمة:

- التواصل بين رب العالمين - جل في علاه - وملائكته وكذلك رسله عليهم الصلاة والسلام.
- تحقيق أوامر الله تعالى.

الخصوية:

جعل الله لهذا الملك خواص لم تكن لغيره ومرتبة خاصة به، فقال تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ البقرة. وقال تعالى: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ التحريم.

الحماية:

كان لبعض الملائكة المقربين كجبريل وميكال عليهما السلام حماية تخصهما بسبب مرتبتهما عنده تعالى، قال تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ البقرة.

مهام خواص الملائكة:

- إسرافيل: النفخ في الصور يوم القيامة إيداناً بيوم الحساب.
- ملك الجبال: إدارة أعمال الجبال.

● مَلِكُ الْمَوْتِ: قَبْضُ أَرْوَاحِ الْخَلْقِ.
الرَّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

المهام:

التواصلُ بين جبريلَ رسولِ رَبِّ الْعِزَّةِ عَزَّ وَجَلَّ وبينَ النَّاسِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ:
* رَسُولًا مُخَصَّصًا لِقَوْمِهِ: يُبَلِّغُهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَكُونُ مَعَهُمْ شَهِيدًا يَوْمَ الْحِسَابِ، يَقُولُ
تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ يونس .
* رَسُولًا لِلْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ كَافَّةً: وَهَذِهِ خَاصِيَّةٌ لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ
تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٥٨﴾ الأعراف .

الواجبات:

شاهد: قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
﴿١٤٣﴾ البقرة .

حُجَّة: قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ .. ﴿١٤٣﴾ البقرة .
مبشِّر: قال تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .. ﴿٢١٣﴾ البقرة، وقال:
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ الفرقان .

مُنذِر: قال تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .. ﴿٢١٣﴾ البقرة . وقال
تعالى: ... إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ الرعد .

مُبَلِّغ: قال تعالى: فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ آل عمران .
والبلاغُ يكونُ واضحاً لمن هُم أدنى درجةً في الهيكلِ التنظيميِّ - أيِّ للناسِ - غيرَ معقَّدٍ يسهلُ فهمُه
مباشرةً دونِ اعوجاجٍ ولا يكتفم منه شيئاً، يقولُ تعالى: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ المائدة .

ويبقى المستوى الأعلى تنظيمياً مراقباً عالمياً بأفعالِ المبلِّغين العَلَنِيَّةِ؛ أَمَا عِلْمُ السِّرِّ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى
وَحَدَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ تَعَالَى مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ.

التعليم والحكمة: إِنَّ مَهْمَةَ الْأَعْلَى تَنْظِيمِيًّا تَعْلِيمٌ مَنْ هُمْ دُونَهُ بِحِكْمَةٍ وَتَرْكِيَةٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

- رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ البقرة.
- كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ البقرة.

الصَّلَاحِيَاتُ:

- ﴿٢١﴾ الغاشية. وليس في التفويض الممنوح للرسول السيطرة على الناس: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ الغاشية؛
- إِنَّ صِفَةَ الرَّسُولِ كَمَا أَوْضَحْنَا (شَاهِدٌ وَمُنذِرٌ وَمُبَلِّغٌ)؛ لَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ آل عمران.

لكنَّ صَلَاحِيَاتٍ مُعَاقِبَةَ الْمُخَالِفِينَ لِلرَّسُولِ هِيَ مَهْمَةٌ الْمَسْتَوَى الْأَعْلَى فِي الْهَيْكَلِ التَّنْظِيمِيِّ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ الغاشية.

وقد يعطي الأعلى تنظيمياً مَنْ هُمْ أَدْنَى مِنْهُ صَلَاحِيَاتٍ تَخَصُّهُمْ بِحَسَبِ مَا فَوَّضَهُمْ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّنْ أَكَلَ الرِّبَا مُهَدِّدًا إِيَاهُمْ بِحَرْبٍ مِنْهُ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ الْمُقِيمِ لِحُدُودِهِ: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ البقرة.

الصِّفَاتُ:

الرَّسُولُ إِنْسَانٌ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ:

- فهو ليسَ خَارِقًا إِلَّا بِمَا أُوتِيَ مِنْ مُعْجَزَاتٍ تَخْصُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ:
- عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، آمَنَ بِاللَّهِ كَمَا آمَنَ النَّاسُ مِمَّنْ اتَّبَعُوهُ، قَالَ تَعَالَى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة.
 - يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ كغَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، وَيَتَجَوَّلُ فِي الْأَسْوَاقِ؛ لِيَقْضِيَ حَاجَاتِهِ كغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ الفرقان.

- يُتَحَنُّ وَيُخْتَبَرُ شَأْنُهُ شَأْنُ سَائِرِ الْخَلَائِقِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَأَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ البقرة.

الرسولُ صاحبُ علمٍ وحجَّةٍ:

إنَّ هذه صِفَةٌ مَنْ يَجِبُ اخْتِيَارُهُمْ لِتَقْلُدِ الْعَمَالَةَ، وَالْمَسْتَوَى الْأَعْلَى تَنْظِيمِيًّا يَزُوْدُهُمْ بِأَدْوَاتٍ تُسَاعِدُهُمْ فِي تَحْقِيقِ مَهْمَتِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران.

ويؤدي الرسولُ المختارُ مهامه بلُغَةً قَوْمِهِ لِأَجْلِ التَّبْيِينِ وَالتَّوْضِيحِ دُونَ لُبْسِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكْلِمَ النَّاسَ بِلُغَةٍ لَا يَفْهَمُونَهَا أَوْ يَصْعَبُ عَلَيْهِمْ فَهْمَهَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ إبراهيم.

الرَّسُولُ صَاحِبُ قُوَّةٍ وَأَمَانَةٍ:

يَجِبُ اخْتِيَارُ الْعَامِلِ صَاحِبِ الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ القصص.

الرَّسُولُ حَفِيزٌ عَلِيمٌ:

يُمْكِنُ لِمَنْ مَلَكَ صِفَاتِ الْعَامِلِ مِنْ (حَفِيزٍ وَعَلِيمٍ) أَنْ يُرْشِحَ نَفْسَهُ لِلْمَنْصِبِ الَّذِي يَرَاهُ أَهْلًا لَهُ: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ يوسف.

الرَّسُولُ مُمَكِّنٌ مِنَ الْمَسْتَوَى الْأَعْلَى تَنْظِيمِيًّا: وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ .. ﴿٥٦﴾ يوسف، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ الْمَلِكِ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَيَّنَهُ وَاخْتَارَهُ: وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ يوسف.

الأجرُ والحقوقُ محفوظةٌ:

إِنَّ أَجْرَ الْعَامِلِ وَحَقُوقَهُ مَحْفُوظَةٌ، يَقُولُ تَعَالَى: وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ يوسف.

وَقَدْ يَكُونُ أَجْرُ الْعَامِلِ دُنْيَوِيًّا؛ فَلِرَسُولِ اللَّهِ الْخُمْسُ، قَالَ تَعَالَى: اَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَكَذَلِكَ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ الأنفال.

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعطاء العامل أجره دون بخس له، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه.

الحماية:

لأبد من ضمان وتأمين الحماية للعمال؛ ليكونوا في مأمن من غيره، يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .. ﴿٦٧﴾ المائدة. وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام لما أمرهما بتنفيذ المهمة الملقاة على عاتقهما تجاه فرعون طاغية الأرض: قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ طه.

الحياد الموضوعية:

لا يعمل العامل المعين بهواه، ولا يحق لمن هم دونه أن يظنوا به ذلك، يقول الله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ البقرة.

العقوبات:

إذا كذب العامل، أو حاد عن عمله المكلف به - حتى لو كان رسولاً - أصابته العقوبة من ولي أمره، يقول الله تعالى عن رسوله عليه الصلاة والسلام: وَكَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ الحاقة.

تحديد المهام وفصلها:

التبليغ:

يترتب على العامل إنجاز ما أوكل إليه، دون تعدد، يقول الله تعالى:

- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ .. ﴿٦٧﴾ المائدة.
- أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ ﴿٢﴾ هود.
- فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ الرعد.

ويقتضي التبليغ أن يفصح العامل عن مهمته ليعلم معاملوه ذلك؛ فالله تعالى قال لعبيده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الناس بمهمته: وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ الحجر.

طاعته واجبة:

إن الطاعة لمن هم دون الأعلى في الهرم التنظيمي واجبة، ومن لم يفعل ممن هم دونه في الهرم التنظيمي ذلك فقد بين لهم تعالى تهديده وترغيبه، فهو تعالى لا يحب الكافرين، كما أنه جل في علاه سيرحم

الطائعين لأوامره؛ لذلك يجب على ولاة الأمور الأعلى تنظيمياً استخدام الأمرين كليهما من ترغيب و ترهيب؛ لتطبيق نظام العمل بدقة، يقول الله تعالى:

● قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ آل عمران .

● وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ آل عمران .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، . ومن يطع الأمير فقد أطاعني . ومن يعص الأمير فقد عصاني، وفي رواية: بهذا الإسناد، ولم يذكر ومن يعص الأمير فقد عصاني⁴ . ويقول أيضاً: من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله عز وجل في الدنيا أهانه الله يوم القيامة⁵ .

الاختيار:

اختار الله تعالى ملائكتَهُ ورُسُلَهُ العاملين، قال تعالى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ الحج .

ويختار الأعلى تنظيمياً العمال الأكثر كفاءةً ومناسبةً لأداء الأعمال؛ فإن لم يفعل، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، يقول صلى الله عليه وسلم: من أعان على باطلٍ ليدحض بباطله حقاً فقد برئ من ذمّة الله وذمّة رسوله، ومن مشى إلى سلطان الله في الأرض ليدله أذل الله رقبته يوم القيامة - أو قال - إلى يوم القيامة مع ما يدخر له من خزي يوم القيامة، و سلطان الله في الأرض كتاب الله وسنة نبيه، ومن استعمل رجلاً وهو يجد غيره خيراً منه وأعلم منه بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين، ومن ولي من أمر المسلمين شيئاً لم ينظر الله له في حاجته حتى ينظر في حاجتهم ويؤدي إليهم حقوقهم، ومن أكل درهم ربا كان عليه مثل إثم ست وثلاثين زنية في الإسلام، ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به⁶ .

إن المتتبع لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أن بعضهم كان خادماً له - أي عاملاً له - يقوم على خدمته، ثم بصحبة معلمه ومربيه المرشد تعلم منه فصار محدثاً ومعلماً للأمة كأنس بن مالك رضي الله عنه، وبذلك لا بد من انتقاء الأفضل ممن تربى وترعرع ضمن المؤسسة، وعدم التفريط بهم وترقيتهم في السلم الوظيفي؛ ليتدرج في هيكل المؤسسة التنظيمي ووصولاً لأعلى المراتب فيه - نظراً لخبراته التي تتراكم وقدراته التي تتوسع وتنمو . وقد خاطب رب العالمين جل في علاه كليمة موسى عليه السلام بأنه تعالى قد رباه على رعايته وبحفظه فقال عز من قائل: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَكَتُصَّنَعٌ عَلَيَّ عَيْنِي

﴿٣٩﴾ طه .

الرقابة:

يجب على جميع المستويات الأعلى إحكام رقابتها على من هم أدنى منهم؛ فحتى الرسل هناك من يرقبهم، يقول الله تعالى: **إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾** ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴿٢٨﴾ الجن.

حساب الرسل عليهم السلام وسؤلهم:

ينضغ المستوى الأدنى لمساءلة من هم أعلى منه تنظيمياً، يقول الله تعالى: **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾** المائة.

مثال ذلك: يسأل الله تعالى رسوله عيسى عليه السلام - وهو أعلم - عما فعله الناس من أتباعه عليه السلام، فيجيب عيسى عليه السلام بأدب الحوار بتمجيد الله تعالى والتزامه بالمهمة الملقاة على عاتقه وعدم مخالفته، وأن الله تعالى هو العليم؛ فهو يعلم ما في نفس الرسول، والرسول لا يعلم ما في نفس الله تعالى، وهذا بيان لقدرة المولى؛ فالعبد الرسول يعلم قدرة مولاه جل في علاه؛ فالمهمة أنجزت كما أمر المستوى الأعلى تنظيمياً ونصها: (أن اعبدوا الله ربي وربكم)، فهو - أعني: الرسول والناس المبلغين - مجرد عباد لله تعالى، ويقول لربه - وهو أعلم - بأنه شاهد على الناس ما دام فيهم، أما رقابة الله فلا تنقضي وهو شاهد حي باق لا يموت - كما هي حال العباد من رسل وغيرهم -، وبذلك يتضح مدى فهم الرسول لمهمته الملقاة على عاتقه، وكيف يقدر الأعلى منه حق التقدير، وكيف أن له الحق في بيان فعله مع ذكر شواهد، وأنه صادق، ولا يكفي صدقه؛ بل إن رقابة المستوى الأعلى وشهادته قائمة عليه، قال تعالى: **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَال سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾** ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيدياً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴿١١٧﴾ المائة.

دليل العمل:

يزود الله تعالى رسله بأدلة العمل الواجب أتباعها وتتلخص بكتبه تعالى من (توراة، وزبور، وإنجيل، وقرآن كريم - ناسخ لما قبله -)، ويبين الدليل ما اختلف فيه الناس ليكون فيه هداهم، يقول الله تعالى: **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فِيهِ من الحق بإذنه وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾** البقرة.

ودليل العمل (إن جاز التشبيه) مهمته تبين وتوضيح المهام حتى يمتنع الخلاف ويرفع الاختلاف، وقد وصف الله تعالى قرآنه بأنه أنزله لتبيين ما اختلف فيه، يقول تعالى: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ النحل.

والدليل هو أداة قيام العدل بين الناس؛ لكن العدل يحتاج القوة لتطبيقه، ولأجل بيان القوة فقد أنزل الله الحديد من خارج كوكب الأرض؛ ليكون أداة البأس الشديد والقوة للحاكم بأمر الله تعالى، يقول الله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ الحديد.

شمول الهيكلية التنظيمية لمرافق الحياة:

إن للهيكل التنظيمي رأساً واحداً، وكذلك لكل فرع من فروعهِ أيضاً. وتمتد شمولية هذا الترتيب التنظيمي للأسرة؛ حيث الرجل والمرأة وأولادهما، وكذلك إذا اجتمع ثلاثة فأكثر، ووصولاً للكون جميعه. وعليه فإن:

– القوامة في الهيكل التنظيمي للأسرة جعلت للرجل قال تعالى: وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ۝ ﴿٢٢٨﴾ البقرة. ومُسَبَّاتُ هذه القوامة تحمّل المسؤولية الجسدية والمالية، وقد منع الله أي ظلم وبغي للرجل على من هم دونه، ووصف الله تعالى صنفاً من النساء بأوصاف جميلة وكاملة، ووصف صنفاً منهن بأقل من ذلك، وترك للرجل مهمة إدارة شؤون الأسرة دون البغي فذكره – أي الرجل – بعلو الله تعالى وبأنه كبير فلا يتجاوز ما أمره به. قال تعالى: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۗ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۗ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴿٣٤﴾ النساء.

– الهيكل التنظيمي واجب على أي تجمع من المسلمين بدءاً من ثلاثة أفراد وأكثر، قال صلى الله عليه وسلم: إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ⁷. كما فرض الله تعالى على المسلمين صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم يؤمهم أكثرهم حفظاً لكتاب الله، وهذا ضابط مهم في اختيار هذا الإمام.

– الهيكل التنظيمي هو شأن الكون كله، كما ذكرنا سابقاً. أما تعدد المرجعية ضمن الهيكل التنظيمي فمؤداه فساد؛ ففي الكون إله واحد أحد، ولا يصح غير ذلك؛ بل يستحيل، يقول الله تعالى:

- لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ الأنبياء.
- وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ فَأَيَّ فِرْعَوْنَ نَحْنُ نَعْبُدُ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ إِلَهُ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥١﴾ النحل.

- مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ الْمُؤْمِنُونَ .

الحوار مع من هم أدنى في الهيكل التنظيمي :

إن للحوار بين طبقات الهيكل التنظيمي أهمية واضحة تتلخص في زيادة فاعلية العاملين، وتحسين كفاءتهم؛ لأنه يقرب الأشخاص المتحاورين، ويوجد بين أفكارهم بعصف ذهني إبداعي، وخير شاهد على ذلك قصة أبي سفيان - قبل إسلامه - عندما ذهب للمدينة فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يخدمونه ويتعاملون معه، فقال: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحُب أصحاب محمدٍ محمداً. إنها التربية بالحب والوفاء والود.

وهناك أمثلة كثيرة أوردتها القرآن الكريم، سنذكر بعضاً منها؛ وذلك لاقتباس بعض العبر والقواعد المهمة.

مثال (١) : حوار الله تعالى مع ملائكته ومع آدم عليه السلام:

هو حوار الأعلى في الهيكل التنظيمي مع من هم أدنى منه، مثال ذلك حوار الله تعالى مع ملائكته الكرام، ومع أبينا آدم عليه السلام؛ ففي ذلك تبليغ للمستويات جميعاً بما عليهم من مسؤوليات منطوية بهم، وتفهم لهم بمهامهم؛ فقد أبلغ المولى عز وجل ملائكته الكرام أنه تعالى جاعل في الأرض خليفة له، فأجابت الملائكة على المستوى الأعلى تنظيمياً تستفسر وتدلي بما عندها من معرفة، فرد عليهم الله جل في علاه بقوله سبحانه وتعالى: (إني أعلم ما لا تعلمون)؛ وبذلك يجب أن يكون من يجلس أعلى في الهيكل التنظيمي أكثر علماً وتدبيراً ممن هم دونه، فعلمت الملائكة ما يجب أن تعلمه لتقوم بعملها بشكلٍ سوي غير ذي عوج ولا نقص؛ فشدة الحساب حال الخطأ كبيرة جداً: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ البقرة.

ثم علم الله تعالى أبينا آدم عليه السلام ما يجب أن يعلمه؛ ليقيم أمر الله تعالى في الأرض من لغات وأسماء وما شابه، وهذا دليل على ضرورة تعليم المستويات الأعلى - وخاصةً رأس الهرم التنظيمي من هم دونه -، ولم يكتفِ الله عز وجل بتعليم من كلفه حمل الأمانة؛ أي آدم عليه السلام؛ بل أطلع الملائكة على ما عند آدم عليه السلام من علم، فسألهم أن ينبئوه تعالى - وهو الأعلم - بما علمه آدم عليه السلام، فقالوا لا علم لهم بذلك، فطلب من آدم عليه السلام أن ينبئهم، فلما أنبأهم، أعلمهم الله تعالى بسعة علمه، وقوة سلطانه في السماوات والأرض، وعلمه بما في العن والسرائر للخلائق كافة. وهذا يدل على أن رأس الهرم التنظيمي يجب أن يكون لديه العلم الواسع والقدرة على الرقابة والمتابعة، ولديه إمكان العقاب والثواب. قال تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا

آدَمُ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ^ط فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ البقرة .

ويُستفاد مما سبق بيانه أيضاً كما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره⁸: الواجب على من سُئِلَ عَنْ عِلْمِ أَنْ يَقُولَ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ: (لا أدري)، اقتداءً بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء. وهذا ما يجب أن يتحلَّى به العاملون تجاه من هم أعلى منهم، أو أدنى منهم في السلم التنظيمي.

مثال (٢): حوار الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام:

سأل إبراهيم عليه السلام ربه عن كيفية إحيائه تعالى للموتى، وهذا يوضح حق المستوى الأدنى في طلب التعلم ممن هو فوقه في الهيكل التنظيمي، ثم نجد أن الله تعالى حليم، وهذه صفة من هم في أعلى السلم التنظيمي، فيسأله المولى عز وجل - وهو أعلم - أو كم تؤمن؟ هنا يرسي سيدنا إبراهيم عليه السلام مبدأً عظيماً للناس؛ فمن الناس من يؤمن تسليمياً دون أدلة مادّية، وهناك من يحتاج الدليل المادّي - كما فعل الحواريون وسنرى ذلك لاحقاً - وهذا منهج فعله خليل الرحمن الذي أسلم لله تعالى بمحاكاة العقلية للنجوم، وبتكسيه للأصنام، وإقامة الحجّة على الناس وهو فتى قبل أن يصبح رسولاً؛ لذلك علينا أن نبيّن للناس ما غاب عنهم بالحجّة الصحيحة الدامغة والبرهان الساطع دون إنكار ذلك عليهم؛ لأن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد فعل ذلك. وفعلًا أجاب الله تعالى طلب إبراهيم بتجربة مادّية محسوسة وملموسة تجعل العقل يتلمس الحجّة من خلال حواس (اللمس، والنظر، والسمع، واللسان). قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْكَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي^ط قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا^ط وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ البقرة .

مثال (٣): حوار الله تعالى مع موسى عليه السلام، وكذلك حوار موسى عليه السلام مع فرعون ورقابة

الله تعالى ودعّمه لرسوله عليه السلام:

لنا في حوار موسى عليه السلام لبني إسرائيل العديد من القصص القرآنية، وسنختار منها قصته عليه السلام مع فرعون لنكون أمام رئيسي هيكليين تنظيميين لنستنبط قواعد مهمة في مجال بحثنا: اختار الله تعالى عبده موسى لحمل الرسالة، ويُستفاد من هذا ضرورة البحث عن الكفاءات قال تعالى: وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ طه؛ فكلفه تعالى بعبادته، وإقامة الصلاة؛ لذلك لا استخدام ولا توظيف دون مهام محددة، ولابد من بيان ذلك لمن تم استخدامه؛ لمنحه القوة التي تجعله يتمتع بالاستقلالية فيتعلق أمره بمن هو أعلى منه تنظيمياً لا بمن هو أدنى منه: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ طه .

واختار المولى عز وجل أشياءً بسيطةً ليبرهن ذلك لعبده المصطفى المختار، فطلب منه التعبير عن صفات أدوات يملكها ويديرها قال تعالى: وَمَا تَلِكْ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ طه. ثُمَّ مَنَحَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْأَدْوَاتِ قُدْرَاتٍ خَاصَّةً زَوَّدَهَا لِعَبْدِهِ الَّذِي اسْتَعْدَمَهُ لِحَمْلِ الْمَهْمَةِ بِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَقُوَّةِ الْحُجَّةِ فَلَا يَذْهَبُ ضَعِيفًا؛ فَالرَّسُولُ قَوِيٌّ مَكِينٌ؛ لِأَنَّهُ يُبَلِّغُ عَن قَوِيٍّ مَكِينٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ نَقْلِ الصُّورَةِ كَامِلَةً قَالَ تَعَالَى: فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ طه.

ثمَّ بعدَ الاختيارِ الصحيحِ للعاملِ وتجهيزه مباشرةً، ثمَّ تعليمه وتمكينه، ومن ثمَّ إبلاغه بالمهمة الملقاة عليه جاءه الأمر الرباني بقوله تعالى: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ طه.

ولو علم موسى كليم الله هذه المهمة التي ستوكلُ إليه قبل المراحل السابقة لكان الأمر صعباً عليه وغير مُمكن التحقيق؛ لكنَّ التدرُّج الذي اتَّبعه المولى مع عبده المختار هو تعليمٌ لنا ولللقائمين على أمور الناس بمنهج التعامل الصحيح؛ فالإنسان عاجزٌ - رغم ما أعطاه الله عز وجل من قدرات؛ لذلك ذَكَرَ اللَّهُ لَنَا أَنَّهُ: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ يُوسُفُ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ؛ لِذَلِكَ قَبِلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَهْمَةَ دُونَ وَجَلِّ فَلَقَدْ تَعَلَّمَ مِنْ دَرَسِ الْعَصَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَخَافُ - وَإِنْ خَافَ فَخَوْفُهُ لَا يَسْتَمِرُّ -؛ لِأَنَّهُ رَسُولُ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، وَأَدْرَكَ مَكَانَتَهُ وَمَوْقِعَهُ مِنَ الْهَرَمِ التَّنْظِيمِيِّ فَامْتَثَلَ. ثُمَّ طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَزِيدَ مِنَ الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ لِأَدَاءِ الْمَهْمَةِ كَدَعَاءِ اللَّهِ، ثُمَّ بِالِاسْتِعَانَةِ بِعُمَّالٍ آخِرِينَ اخْتَارَهُمْ بِعِنَايَةٍ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ وَكَانَ أَخَاهُ هَارُونَ، قَالَ تَعَالَى: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مَنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّدُ بِهِ أَرْزِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ طه. وَقَدْ ذَكَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ صِفَاتِ وَزِيْرِهِ فَقَالَ عَنْهُ: وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ الْقَصَصُ.

لقد أعطى الله تعالى موسى ما سأله، وهذا دليلٌ على واجبات (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) من هم في أعلى الهرم التنظيمي؛ من حيث تمكين عمالهم، ومشاركتهم رأيهم، والوقوف عند سؤالهم، وتحقيق ما يروونه مساعداً لأداء مهامهم؛ بل زاد الله تعالى على سؤال موسى عليه السلام بأن أيدته بسُلطان الحماية الكاملة، ثمَّ أيدته بالنتيجة التي ستكون؛ ليزيد من ثقته بأداء المهمة.

لقد تمّ التجهيز الكامل للمهمة فحقّق لموسى عليه السلام كسب تلك الثقة المطلقة. وهو يعلم علم اليقين قدرة مولاة تسليمًا وتجربةً كما ذكرنا آنفًا، ويعلم أنّ الله تعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ، وأنّه يقول للأمر كن فيكون: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ النحل.

مثال (٤) : حوار رسول الله عيسى عليه السلام مع الحواريين:

سأل الحواريون عيسى عليه السلام أن يبرهن لهم قدرته ومكانته وعلمه، فسألوه برهاناً ليكونوا عليه شهداء، قال الله تعالى: إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ المائدة.

فطلب عيسى من ربه ذلك: قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۗ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ المائدة.

فأنزل الله تعالى ما سأله عيسى متوعداً إياهم بالعذاب الشديد إن خالفوا بعد ذلك؛ لأنهم لم يؤمنوا حتى يروا برهاناً ساطعاً ودليلاً ملموساً فحقق لهم ذلك كما حق عليهم الوعيد منه تعالى: قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُمُ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ المائدة.

ويستفاد من ذلك أنه يترتب على المستوى الأدنى تطبيق التعليمات الصادرة من المستوى الأعلى مع حقهم بطلب البيّنة على ما سيقومون به من المستوى الأعلى منهم، ويجب أن يتضمن دليل العمل نظام العقوبات للمخالفين؛ ليعلموا علم اليقين ما هم عليه وما ينتظرهم من ثواب كاجرٍ، ومن عقاب.

تطبيق الحوكمة في الهيكل التنظيمي:

إنّ تطبيق مبدأ الاستمرارية أمر مهم، فلا يمكن لأيّ كيان أن يحقق مكاسب ومنافع إلا في المدى الطويل، ومعنى المدى الطويل: الاستمرارية، وهذا ما يجب أن يتحقق في الهيكل التنظيمي بوصفه أول حجر يتم وضعه في الكيان.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مختارٌ مكلفٌ من الله تعالى كما اختار غيره ممن سبقه من الرسل، رسالته مستمرة وليست مرتبطة بوجوده؛ بل بوجود الله تعالى الخالق البارئ الذي لا يموت ولا يبلى، يقول تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ آل عمران.

وقد فهم هذه العلاقة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فربط مصيره ومصير دعوته بربه الخالق فقال لعمه الذي عرض عليه كل ما يطلبه داعية أو زعيم، وقد أخذه إلى آخر ما ينشده الناس فعرض عليه أن يكون ملكاً؛ لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابه جواباً غير ما يتوقعه عمه فقال له: يا عمّاه، والله

لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي عَلَيَّ أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ .

كما فهم ذلك الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه⁹، فعندما ضجَّ الناسُ عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر لمن حوله - ومنهم عمر الفاروق - رضي الله عنه: أيها الخالفُ على رسلك، ثم حمّد أبو بكر الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبدُ محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت. وذكر قول الله تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ الزُّمَرُ. فذكرهم رضي الله عنه بأن التعلُّقَ يكونُ بالله دون غيره ولو كان خير خلقه؛ لأنه تعالى هو الباقي بلا فناء. وكذلك كان سلوكُ خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو القائدُ العسكريُّ الفدّ، الذي ما أخبرنا التاريخُ عنه إلا وجعل الله الانتصاراتِ على يديه، وكان ذا حنكةٍ ودهاءٍ، عندما جاءه كتابُ الخليفة عمر رضي الله عنه وهو يقودُ إحدى معاركِ فتح الشام، وكان مضمونُ الكتابِ عزله عن القيادة وتولية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. ورغم صعوبة فهم تصرف خالد رضي الله عنه قياساً على ما يحصلُ عادةً هو أمرٌ مُحرجٌ وصعبٌ للغاية؛ فمن هو في موقف خالد رضي الله عنه قد لا يكونُ مضطراً لتنفيذ هكذا أمرٍ في الوقتِ الحرج، فهو مُمسكٌ بالسلطة والقوة والأتباع. وقد يغيبُ عن كثيرين فهم الصورة واستيعابها، فكيف يفهم تصرفه رضي الله عنه وقد كتم الخبرَ لغاية الليل، ثم ذهبَ إلى أبي عبيدة ليُسلمَ عليه كما يُحيي الجنديُّ قائده، قائلاً: عيّنت أنت القائدُ، وصرتُ أنا جندياً عندك، مُرني بما شئت يا أبا عبيدة؛ فله درك يا خالد، لقد أتعبت من بعدك. لقد عرفَ هذا القائدُ الفدّ أن المهمة تتجاوزُ شخصه ولا يُعتبرُ نقيصةً فيه؛ بل هو رأي سديدٌ لا يصدرُ إلا من رجلٍ رشيدٍ فهم معنى الجنديّة عند الله عزَّ وجلَّ ممن هو أعلى منه في الهرمِ التنظيمي؛ فمن يجلسُ أعلى يرى أفضل، والجميعُ في سفينة الله تعالى مُغادرين إليه جلَّ في علاه.

إنَّ جمعَ السُّلطاتِ دونَ توزيعها أمرٌ لا يليقُ إلا بالله تعالى فله الوحدانية دون سواه؛ فقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحلّى بصفات حميدة، فبين فضله عليه قائلاً: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ^ط وَكَوْنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ^ط فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ^ط فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ^ع إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران، فكانت مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أمراً ربانياً وتشريعياً. وهذه حال أي هيكلي تنظيمي في الكون. وتظهرُ عموميّة هذا الأمرِ ببيان الله تعالى لعباده بأن يكون أمرهم بينهم شورى، قال جلَّ وعلا: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ .

لذلك لما جمعَ فرعونُ السلطاتِ كافةً بيده وبأمره، وصلت به الحال لأن يقول للناس: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ النازعات، ثم دعاهم لإلغاء عقولهم فقال لهم: مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ

﴿ ٢٩ ﴾ غافر. فكيف كانت النتيجة؟ النتيجة: أنه أورد نفسه وقومه الهلاك في الدنيا وفي الآخرة مَصِيرُهُم النار كما أخبر الله تعالى: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿ ٩٨ ﴾ هود.

لذلك تعلمت الناس أن توزيع السلطات هو الأمر الصحيح؛ فوزعت سلطات الحكم إلى سلطات (تشريعية، وتنفيذية، وقضائية) وترك للحاكم الرشيد التنسيق بينها. وذلك خوفاً من تكرار حال فرعون؛ الذي قال الله عنه: وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿ ٩٧ ﴾ هود، فبدأ الناس بالبحث عن الحكم الرشيد. وتعتبر رقابة المستوى الأعلى في الهيكل التنظيمي مشاركة في المسؤولية، ومرجعاً يحقق الاطمئنان للعامل، ويزرع الثقة لدى الطرف الآخر - أو على الأقل يشعره بأن الأمر ليس متوقفاً عند هذا العامل وحسب -، يقول الله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿ ٤٣ ﴾ الرعد؛ فالله تعالى شاهد على عمل العامل، وهذا دليل على أنه مكلف بالرسالة، وليس مدعياً لها، وهذا الخالق العظيم (عنده علم الكتاب) أي لديه العلم بما هو مسطور في الكتاب، فلا شيء غير مكتوب؛ سواء من دليل عمل أو مما يعملها الناس، وعلى ذلك سيكون الحساب بالدليل الحسي المكتوب، وستشهد به جوارح الإنسان التي عملت ما أمرها به، يقول الله تعالى: وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿ ١٩ ﴾ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴿ ٢٠ ﴾ فصلت. وهذا ما تسعى إليه الحوكمة في توثيق الأعمال وكتابتها؛ سواء أكانت (خططاً أم نتائج) لأجل المراجعة، وتحقيق الموضوعية؛

لذلك لأبد من إثباتات موضوعية تشهد على كل عامل في الهيكل التنظيمي بما فعله، ولأبد من حسابه ومناقشته بالأدلة؛ لتبرأ ذمته تجاه ما قدمه، وهذا ينطبق على الجميع. يقول نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديث قدسي رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: "يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"؛ أي أن رب العزة جل في علاه منع الظلم على نفسه فتقدس عنه وتعالى عنه، فهو في حقه مستحيل، وحكم بتحريمه بين الناس، فكان ذلك قانوناً ربانياً عاماً وشاملاً لا يستثنى منه أحد.

الخلاصة والنتائج:

إن تطبيق التنظيم الهيكلي ممكن في الأسرة، أو باجتماع ثلاثة فما فوق ووصولاً للكون جميعه. وبناءً على ما سبق بيانه؛ يمكن وضع صفات الهيكل التنظيمي المحكم كما يلي:

صفات عامة:

- المسؤولية هي مسؤولية رعاية.
- حسن الخلق مطلوب من الأعلى تنظيمياً ومن الأدنى أيضاً.

- مُمارسة التوجيه التربوي بشكل مستمر من الأعلى تنظيمياً أمرٌ مفيدٌ لما له دورٌ في توثيق العلاقات بين مكونات الهيكل التنظيمي وزيادة الولاء للعمل.
- يجبُ تفعيلُ الحوارِ بين المستوياتِ الوظيفيةِ كافةً لما له من أثرٍ فعّالٍ في ضبطِ العملِ، ورفعِ سويّته.
- وضوحُ العلاقاتِ التنظيميةِ بين مستوياتِ الهيكلِ التنظيميِ كافةً.
- وضوحُ التفويضِ.
- توازنُ الصلاحياتِ المرتبطةِ بالتفويضِ.
- وضوحُ نظامِ المهامِّ والواجباتِ.

نظامُ العملِ:

- يجبُ وضعُ نظامٍ للعملِ بشكلٍ واضحٍ ومتاحٍ للجميع؛ لأنّه يمنعُ الخلافاتِ، ويحقّقُ العدلَ بين الجميعِ وكما قيل: "البيانُ يطردُ الشيطانَ".
- يتضمّنُ دليلَ العملِ نظاميَ الثوابِ والعقابِ بشكلٍ عادلٍ.
- يجبُ تطبيقُ الحوكمةِ على الهيكلِ التنظيميِّ بوصفه أولَ حَجَرٍ يتمُّ وضعه في أيِّ كيانٍ.
- صفاتُ تخصُّ كلَّ عنصرٍ من الهيكلِ التنظيميِّ:
- تواصلُ العاملينِ يكونُ حسبَ تراتيبِ الهيكلِ التنظيميِّ.
- يجبُ بيانُ صفاتِ العملِ، وصفاتِ مَنْ سيشغلهُ.
- تأمينُ الحمايةِ المناسبةِ للعاملِ.
- توضيحُ مهامِّ العاملِ، وبيانُ الواجباتِ الملقاةِ على عاتقه، ويُفيدُ ذلكُ بمعرفةِ أعضاءِ الهيكلِ التنظيميِّ كافةً حدودَ تكليفه وعمله.
- يجبُ حفظُ حقوقِ العاملينِ جميعهم، وعدمُ بخسهم شيئاً.
- يجبُ أن يعلمَ العاملُ حدودَ تكليفه ومجالَ عمله وما أوكلَ إليه.
- يجبُ أن يفصحَ العاملُ عن مهمته ليعلمَ معاملوه ذلك، أو أن يتمَّ نشرُ ذلك في مكانٍ واضحٍ طبقاً لطبيعةِ العملِ.
- الطاعةُ للأعلى في الهرمِ التنظيميِّ واجبةٌ.
- يخضعُ المستوى الأدنى لمساءلةِ مَنْ هم أعلى منه تنظيمياً.
- وجوبُ إقامةِ العدلِ بين العاملينِ.
- صفاتُ الأعلى تنظيمياً:
- يُمنحُ سلطاتٌ تُحوّله القيامَ بالعملِ، وتُحوّله لمن هم دونَه أيضاً بالسلطاتِ.
- هو مراقبٌ عالمٌ بأفعالِ مَنْ دونَه.

- ليس له أن يتعدى الحدود الموكلة إليه؛ فلا يتسلط على من دونه فيستغلهم أو يبتزهم من خلال سلطاته .
- يجب عليه تعليم من هم دونه بحكمة .
- صاحب حجة وعلم، وصاحب قوة وأمانة، وحفيظٌ عليهم .
- يجب تمكينه .
- يُمارس عمله بشكل موضوعي دون هوى يأخذه يمنة ويسرة حسب مصالحه .
- يختار العمال الأكثر كفاءةً ومناسبةً لأداء الأعمال .
- يجب على المستويات العليا كافةً إحكام رقابتها على من هم أدنى منهم .
- لديه القدرة على من هم دونه، ومن ذلك قدرته على منح الثواب، أو إنزال العقوبة، أو العفو عنها .

تلك هي قبسات من نور نستفيدها من الآيات البيّنات والأحاديث الشريفة في إيجاد الهياكل التنظيمية في المؤسسات؛ لتكون مؤسسات متينة وقوية في داخلها .

وختاماً أذكر بقول الله تعالى الذي قال: **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ التوبة .**

فالهيكُل التنظيميُّ أساسُ بِنْيَانِ أيِّ كِيَانٍ، وينطبقُ عليه أن مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ، بينما لا خير في بِنْيَانِ شَيْدٍ عَلَىٰ جُرْفٍ هَارٍ مُهْدَدٍ بالسقوط . وكتابُ اللهِ تعالى الذي هو دليلٌ كاملٌ لِعَمَلِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ كَمَا وَصَفَهُ تَعَالَى: **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٣٨﴾ الْأَنْعَامِ، حَقًّا إِنَّهُ كِتَابٌ لَا رَيْبَ فِيهِ؛ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَفُصِّلَتْ وَمُنَزَّهَةٌ عَنِ الشُّكِّ، قَالَ تَعَالَى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الْبَقَرَةَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا .**

الهوامش والإشارات:

- 1 صحيح البخاري: ٢٥٥٨
- 2 رواه النعمان بن بشير، مجموع الفتاوى: 28/208
- 3 صحيح مسلم: ٢٣٠٩
- 4 صحيح مسلم: ١٨٣٥
- 5 مجمع الزوائد: ٥/٢١٨
- 6 السلسلة الصحيحة: ٣/١٨
- 7 تخريج الإحياء: ٢/٣١٤
- 8 القرطبي، تفسير القرطبي، ٢٩٩/١ .
- 9 صحيح البخاري: ٣٦٦٧